وقالوا: تحفظ الكلمات النادرة التي وردت عن العرب في هذا الباب ولا يقاس عليها، ومنهم من ذهب إلى اتخاذ القياس فيها «استحاذ ـ استصاب».

كما أمعنت مدرسة البصرة في أحوال الكلام العربي واستنبطت علله وحكمت فيه المنطق والعقل، إذ كان المنطق كما قال ابن سينا خادم العلوم. . . وكان له سلطان كبير على العقول في العصر العباسي وكان من جراء ذلك أن اصطبغت طريقة الجدل والبحث والتعبير والتدليل بصبغة غير التي كانت تعرف من قبل[1].

أما مدرسة الكوفة فقد قيل انها جمعت كل ما وصل إليها، ولم تفرط بشيء منه، ولم تتخذ لنفسها أصولاً تبنى عليها وجعلت من سماعها منهجاً خاصاً لها، فقبلت الشاذ واللحن والخطأ، وأخذت عمن فسدت لغته من الاعراب وأهل الحضر، وجعلت كل شاذ ونادر قاعدة لنفسه، وبالإجمال كثر لديها التجويز والترخيص، قال شارح المفصل: «الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه»[2].

ومن الباحثين من عدّ المذهب الكوفي مذهب سماع على حين عدّ المذهب البصري مذهب قياس، وجاء في قوله: «يحترمون» أي الكوفيون «كل ما جاء عن العرب ويجيزون للناس أن يستعملوا استعمالهم»[3].

والحقيقة أن المدرستين كانتا تقيسان، وربما كانت الكوفة أكثر قياساً إذا روعي (الكم) فهي تقيس على القليل والكثير والنادر والشاذ، أما البصرة فهي أقيس إذا روعي (الكيف) إذ كانت تقيس على الأعم الأغلب.

ومن الباحثين من حمل على مدرسة الكوفة منتصراً لمدرسة البصرة فقال: «المذهب الكوفي لا هو مذهب سماع صحيح، ولا مذهب قياس منظم، لكن التاريخ يؤيد وجود المذهبين: مذهب السماع ومذهب القياس وهما حقاً وجدا

---

(١) أحمد أمين: ضحى الاسلام، ط. النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٢ جـ ١ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.
(٢) السيوطي: الاقتراح، ت. أ. قاسم ١٩٧٦ ص ١٠٠.
(٣) أحمد أمين: ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٢٩٥.